في حقيقة الشبه كذلك فسبحان من اظهر اثر عظيم قدرته بجميل وضع حكمته في جميع بريته
ولاجل هذا المعنى الذي اشرنا اليه احال عز وجل في كتابه بالنظر اليه ليستدل به على وحدانيته فقال عز
من قايل سنريهم ءاياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الوجه الثامن قوله عليه الصلاة
والسلام حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسيلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا
فيه دليل على ان الضلال المخوف لا يقع مسماه بنفي من الطايفة المذكورة واحد لان تلك الطايفة هم
الذين تمسكوا بالعلم وعملوا به لانه متى بقي عالم واحد على الحق لم تنقض الضلالة وان ظهرت
لعدم الاجتماع عليها وقد قال عليه الصلاة والسلام لن تجتمع امتي على ضلالة وكثير ما يسر الظهور
والاجتماع لان الاجتماع هي الكارثة اعاذنا الله تعالى من ذلك بمنه بيان ذلك ويوضحه ما روي عن احد
انبياء بني اسرائيل انه مر على قرية وقد اهلكها الله تعالى فقال يا رب كيف اهلكتهم وكان فيهم رجل صالح
فاوحى الله تعالى اليه انه لم يتغير لي قط يوما واحدا فاذا ذاك كان موافقته لهم على الباطل وان كان معهم في
الحق كان سبب هلاكهم ولو خالفهم ما هلك وما هلكوا الوجه التاسع في هذا المعنى وجه من الحكمة
والاعتبار وذلك انه لما ان جعل الله عز وجل هاذه الدار للتغير والذهاب جعل كل ما فيها بمقتضى
الحكمة تلك النسبة يلحقه النقص والذهاب لا اجل ما فيها العلم والايمان وها هما قد يلحقهما
النقص حتى يذهبا فلحقه علة الدار لساكنها وما فيها الوجه العاشر في هذا المعنى ترغيب في الزهد
في هذه الدنيا وتحريض على تركها اذ هي وما فيها للنقص والذهاب فيما ذا الرغبة وعلى ما ذا التعب
الوجه الحادي عشر فيه دليل على ان بلا هاذه الدار اكثر من خيرها لانه اذا قل العلم والايمان وهما
عين الخير وكثر ضدهما وهما الكفر والجهل فهما موجبان للشر بل هما عينه الوجه الثاني عشر
يوخذ منه من الفقه تاكيد التخلي عن الالتفات لهاذه الدار وما فيها لمن عقل اذ ان خيرها يقل
وشرها يزيد فخيرها نادر وشرها كثير موجود وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه لو كانت
الاخرة من خزف وهي باقية والدنيا من فضة وهي فانية لكان يقتضي الزهد في الدنيا وان كانت من
فضة لكونها فانية والرغبة في الاخرة وان كانت من خزف لكونها باقية فكيف والامر بضد ذلك

الوجه الثالث عشر

الوجه الثالث عشر فيه دليل على ان حقيقة الرياسة لا تكون الا بالعلم اذا كان على حقيقته وهو ان يكون
له خالصا على مقتضى الكتاب والسنة وان رياسة غير العالم ليس بحقيقة لانه عليه الصلاة والسلام قد نص
على ان العالم ما دام بين اظهر الناس دام به الخير وان الجاهل اذا كان مكانه وقع به الضلال والهلاك والعلة
في هذا المعنى ظاهرة بادية لان كل الناس يحتاجون الى العالم ليرشدهم الى طريق ربهم ويبين لهم
امره ونهيه وغير العالم ليس كذلك لانه قد يحتاج اليه بعض الناس في تلك الخطة التي راس بها وقد
لا يحتاج اليه وهو الكثير ولهذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام نعم الرجل العالم ان احتيج اليه نفع
وان استغني عنه اغنى نفسه ومعنى الغنى هنا الغنا بالله عز وجل فهاذه هي حقيقة الرياسة وقد بدا
الان ظهور ما اخبر به الصادق عليه الصلاة والسلام رأسوا بغير علم فاستفتوا فافتوا بغير علم
فضلوا واضلوا من اتبعهم فلينتبه الجاهل المسكين من غفلته وليفق من سكرته وليحذر من هذا الامر
العظيم الذي حل به الوجه الرابع عشر فيه دليل على انه لا بد للناس من رؤساء بمقتضى الحكمة لانه
عليه الصلاة والسلام اخبر ان العالم اذا عدم لم يبق الناس لانفسهم كذلك وانما يتخذون رؤساء
غير ذلك الصنف لتشبههم بهم فيقعون اذ ذاك في الضلال كما اخبر عليه الصلاة والسلام الوجه
الخامس عشر فيه دليل على ان اخذ الاشياء بغير ما احكمته الشريعة لا يوجد لها فايدة بل تنعكس
الفايدة بالضد لان العوام لم يتخذوا هؤلاء الجهال رؤساء الا لاجل الفايدة التي عاهدوها ممن
تشبهوا بهم وهي الارشاد لما يصلحهم كما تقدم فلما لم تكن فيها الشروط التي احكمتها
الشريعة جاءهم اذ ذاك ضد ما ارادوه وهو الضلال الوجه السادس عشر فيه دليل لمن يقول
ان العالم لا يلزمه التعليم قبل السؤال لان العلماء لم تقع حتى وقع السؤال الوجه السابع عشر فيه
دليل على ان البهرجة لا تجوز على عالم لان العوام انما اتخذوا هؤلاء الجهال رؤساء للاجل تشبههم
باهل العلم في الكتب مثلا وفي حسن الكتب والنظر فيها فلما ان الناس ماجرة به العادة ان يكون علما
على العلم وهو النور كما تقدم في وجه قبل ظنوهم من العلماء الرؤوس حقيقة فصحت البهرجة
عليهم ولهذا قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى لغلت العقلاء لم يعرف الحمقا وهذا المعنى بنفسه قد

Copyright © King Saud University